للبنية بحقها في الاكتمال الذاتي، فليس هناك مبنى ومعنى وإنما هناك بنية مكتملة تحمل معناها الخاص.

البنية الوظيفية

قصص آدم عليه السلام

يرد هذا القصص في مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم، ونحن في هذه الدراسة نتتبع هذا القصص في أكثر مواضعه تفصيلا، واصفين البنية الوظيفية الخاصة بكل موضع. واضعين في الاعتبار- دائما- ترتيب نزول السور القرآنية الكريمة.

أ- في سورة ص (٣٨):

١- إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٧١- ٧٢)

٢- سجود الملائكة، وامتناع إبليس (٧٣- ٧٦)

٣- طرد إبليس (٧٧- ٧٨)

٤- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، وإجابته إلى طلبه (٧٩- ٨٣)

obeikandl.com

٥- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٨٤- ٨٥)

تبدأ الأحداث بطلب صاحب الوحي، تبارك وتعالى، إلى الرسول الكريم ﷺ، أن يعلن أن العلم الذي يعلمه موحى به إليه من ربه، ولولا هذا الوحي ما كان ليعلم من أمر تلك القصة شيئا؛ ومن ثم يأخذ في سرد أحداثها: من إخبار الله الملائكة بخلق آدم، ثم سجود الملائكة وامتناع إبليس، ثم طرد إبليس، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه، ثم وعيد الله لإبليس وأتباعه.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- سجود الملائكة، وامتناع إبليس (١١- ١٢)

٢- طرد إبليس (١٣)

٣- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، و إجابته إلى طلبه (١٤- ١٧)

٤- وعيد الله لإبليس وأتباعه (١٨)

obeikandl.com

٥- سكنى آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها (١٩)

٦- إغواء الشيطان لهما (٢٠- ٢٢)

٧- الخطيئة والتوبة (٢٢- ٢٣)

٨- الهبوط إلى الأرض (٢٤)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس، وما كان من نتائج هذا الامتناع من طرد له، ووعيد منه بإغواء آدم وذريته. ثم تعرض لسكنى آدم وزوجه الجنة ونهيهما عن شجرة فيها؛ ومن ثم يتحقق لإبليس ما أراد من إغواء لآدم وذريته، فكانت الخطيئة وكانت التوبة.

فإذا كنا في سورة (ص) نجد سردا لقصة آدم وإبليس الغرض منه إثبات الوحي، فنحن هاهنا نجد شيئا آخر أحدثه إحلال وظائف لم تكن موجودة من قبل مثل سكنى آدم وزوجه الجنة، وإغواء الشيطان لهما.... إنها قصة العداوة بين آدم وإبليس تفصلها الوظائف المعروضة التي تبدأ برفض إبليس السجود. وتنتهي بتأكيد العداوة مع الهبوط إلى

obeikandl.com

الأرض ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) ﴾ [سورة البقرة].

جـ- في سورة طه (٤٥):

- تقديم/ إجمال القصة: نسيان آدم (١١٥)

ثم تفصيل:

١- سجود الملائكة وامتناع إبليس (١١٦)

٢- تحذير آدم من عداوة إبليس (١١٧- ١١٩)

٣- إغواء الشيطان لآدم (١٢٠)

٤- الخطيئة والتوبة (١٢١- ١٢٢)

٥- الهبوط إلى الأرض (١٢٣- ١٢٦)

تتحدد هنا مهمة السرد منذ البداية ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ فهي قصة النسيان (نسيان آدم) ويسير السرد على هذا النحو، فتبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع

obeikandl.com

إبليس، ثم يأتي التحذير لآدم من عداوة إبليس- وهي وظيفة جديدة هنا- لئلا يخرجه من النعيم إلى الشقاء؛ لكنه ينسى؛ فيكون الشقاء.

د- في سورة الإسراء (٥٠):

١- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٦١)

٢- طلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه (٦٢)

٣- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٦٣)

٤- إرشاده إلى سبل الغواية، وإخباره بعصمة عباد الله (٦٤- ٦٥)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس، واستكباره أن يسجد لمخلوق من طين، مبديا حقده عليه لتكريم الله إياه، فيطلب من الله التأخير إلى يوم القيامة، ليريه كيف أن هذا المخلوق من الضعف حتى أنه لن يثبت أمام إضلاله له واستحواذه عليه- إلا القليل- فيجيبه الله إلى طلبه ويبشره بجهنم ومن اتبعه! وليفعل كل ما بوسعه؛ فلا سلطان له على عباد الله يمكنه من تغيير ما في قلوبهم من إيمان.

فالقصة تعرض حقد الشيطان على الإنسان لتكريم الله إياه من دونه وتفضيله عليه، وتعرض من ثم سبل الشيطان إلى غواية الغاوين ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾.

هـ- في سورة الحجر (٥٤):

- تقديم: خلق الإنسان من صلصال، والجان من نار (٢٦- ٢٧)

ثم تفصيل:

١- إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٢٨)

٢- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٢٩- ٣٣)

٣- طرد إبليس (٣٤- ٣٥)

٤- طلبه الإنظار إلى يوم البعث، وإجابته إلى طلبه (٣٦- ٣٨)

٥- وعيد الله لإبليس وأتباعه (٣٩- ٤٤)

obeikandi.com

بعد مقدمة سريعة تعرض للفارق الأساسي بين الإنسان والجان، وأن لكل منهما طبيعته التي تعود إلى مادة خلقه يبدأ تفصيل الأحداث: من إخبار الله الملائكة بخلق آدم، ثم سجود الملائكة وامتناع إبليس أن يسجد لبشر من صلصال من حمإ مسنون بينما هو مخلوق من نار السموم. ثم ما كان من طرد إبليس، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه، وإخبار الله له بعصمة عباده، إنما سلطانه على الغاوين ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) ﴾.

و- في سورة البقرة (٨٧):

١- إخبار الله الملائكة بجعله خليفة في الأرض (٣٠)

٢- إعداد آدم للخلافة (٣١- ٣٣)

٣- سجود الملائكة وامتناع إبليس (٣٤)

٤- سكنى آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها (٣٥)

٥- إغواء الشيطان لهما (٣٦)

obeikandi.com

٦- التوبة (٣٧)

٧- الهبوط إلى الأرض (٣٨- ٣٩)

تبدأ الأحداث بإخبار الله الملائكة بجعله خليفة في الأرض؛ وتنتهي بإيجاد هذا الخليفة، مرورا بمجموعة من الوظائف المتعلقة بأمر الاستخلاف دون غيرها، مما يأتي في سياقات أخرى: فنجد الحديث عن منزلة آدم، وتكريمه بأمر الله الملائكة أن يسجدوا له، مع إلماحة سريعة إلى إباء إبليس دون التعرض لنتيجة هذا الإباء... ثم إسكان آدم وزوجه الجنة، ونهيهما عن شجرة فيها، أزلهما الشيطان عنها، وتوبة الله على آدم، ثم هبوطه إلى الأرض خليفة كما أراد له الله.

تعقيب

نلاحظ كيف أن حضور بعض الوظائف أو غيابها يؤثر في تغيير الصورة التي تأتي عليها القصة في كل مرة: فمرة هي عرض لقصة آدم وإبليس، ومرة هي قصة العداوة بين آدم وإبليس، وثالثة هي قصة نسيان آدم، ورابعة هي قصة حقد الشيطان على آدم، وخامسة هي قصة التباين بين آدم وإبليس، وسادسة هي قصة الاستخلاف في الأرض.

obeikandl.com

في كل مرة نجد قصة جديدة، أثرا لحضور وظيفة أو غياب أخرى، مما يؤثر في المتتالية الوظيفية، ويغير من ثم منطق ترابطها، فيصير المعنى إلى معنى آخر.

قصص نوح عليه السلام

بالنظر إلى البنية الوظيفية لقصص نوح عليه السلام في مواضعه الأكثر تفصيلا في كتاب الله الحكيم، نجد أنها:

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب قوم نوح (٩)

٢- استنصار نوح بربه (١٠)

٣- إهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين (١١- ١٤)

تحكي الأحداث- في إيجاز شديد- ما وقع بقوم نوح من عذاب، جزاء تكذيبهم واجترائهم على نبيهم عليه السلام؛ بدءا بحدث التكذيب، فاستنصار نوح بربه، ومن ثم يأتي وصف ما حاق بقومه من العذاب، وما لحق به من نعمة ربه بإنجائه مما لحق بقومه.

obeikandl.com

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٩)

٢- تكذيب قومه (٦٠- ٦٤)

٣- نجاة المؤمنين، و إهلاك المكذبين (٦٤)

تحكي الأحداث قصة الدعوة إلى الله، وما يصاحبها من جدال وتكذيب وعقاب.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

- مقدمة: تكذيب قوم نوح (١٠٥)

- ثم تفصيل:

١- دعوة نوح لهم إلى تقوى الله وطاعته (١٠٦- ١١٠)

٢- استكبارهم وتهديدهم له (١١١- ١١٦)

٣- نجاة المؤمنين، و إهلاك المكذبين (١١٧- ١٢٢)

obeikandl.com

يبدأ السياق بتقديم يحدد اتجاه القصة ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة قوم دأبهم تكذيب الرسل، وما كان من موقفهم تجاه نبيهم الذي قنط من إيمانهم، فدعا عليهم؛ فجاءت النهاية في إيجاز سريع.

د- في سورة يونس (٥١):

١- تحدي نوح لقومه (٧١- ٧٢)

٢- تكذيب قومه (٧٣)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين (٧٣)

تحكي الأحداث قصة تحدي نوح عليه السلام لقومه، في عرض مختصر- وفي نهاية رسالته- أن يفعلوا ما بوسعهم إن كانوا قد ضاقوا به وبدعوته، أما هو فقد توكل على الله ربه.

هـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٥- ٢٦)

٢- تكذيب قومه له، وطلبهم إيقاع العذاب بهم (٢٧- ٣٦)

obeikandl.com

٣- الأمر بصناعة الفلك (٣٧- ٣٩)

٤- الطوفـان (٤٠- ٤٣)

٥- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (٤٤- ٤٩)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، وتكذيب قومه له وثبوتهم على كفرهم، ومن ثم الأمر بصناعة الفلك، وبعد ذلك تأتي تفاصيل أحداث الطوفان، وما بعد الطوفان.

و- في سورة نوح (٧١):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله (١- ٤)

٢- تكذيب قومه له (٥- ٢٣)

٣- إهلاك الكافرين (٢٤- ٢٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، ثم تحكي تفاصيل الشكوى إلى الله من قوم كافرين، يصرون على كفرهم، وكأنه يعتذر إلى الله حيث لم يستطع هدايتهم. ومن ثم غرقهم فإدخالهم النار دون تفصيل.

ز- في سورة المؤمنون (٧٤):

١- إرسال نوح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٣)

٢- تكذيب قومه له (٢٤- ٢٦)

٣- الوحي بصناعة الفلك (٢٧)

٤- نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين (٢٧- ٣٠)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، ثم تعرض لتمادي قومه في سخريتهم به، حتى استنصر ربه فنصره.

ح- في سورة العنكبوت (٨٥):

١- إرسال نوح إلى قومه (١٤)

٢- لبثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما (١٤)

٣- إهلاك الكافرين، و نجاة المؤمنين (١٤- ١٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام، وتحكي قصة صبره الطويل على دعوته لقومه، و لم تُجْد هذه المدة الطويلة شيئا مع قومه.

obeikandl.com

تعقيب

في كل المتتاليات الوظيفية التي تمثل قصص نوح، نجد وظائف ثابتة تتكرر في كل مرة، وأخرى غير ثابتة، أما الثابتة فهي:

١ـ إرسال نوح عليه السلام والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢ـ تكذيب قومه له.

٣ـ نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين.

وأما الأخرى، فيؤثر حضورها أو غيابها في تغيير الصورة التي تأتي عليها القصة: فمرة هي قصة العذاب الذي وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم، وثانية هي قصة الدعوة إلى الله، وثالثة هي قصة قوم مكذبين، ورابعة هي قصة تحدي نوح لقومه، وخامسة هي قصة الطوفان، وسادسة هي قصة الشكوى إلى الله، وسابعة هي قصة انتصار الله لنبيه، وثامنة هي قصة الصبر الطويل على الدعوة.

obeikandl.com

قصص هود عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب عاد (١٨)

٢- وقوع العذاب (١٨- ٢١)

تحكي الأحداث، في إيجاز شديد، ما وقع بقوم هود من عذاب، جزاء تكذيبهم.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال هود، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦٥)

٢- تكذيب قومه، وطلبهم العذاب (٦٦- ٧١)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين (٧٢)

تحكي الأحداث موقف قوم من الوحي؛ حين استكبروا وكذبوا وسخروا، فعوقبوا وأهلكوا.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

obeikandl.com

- مقدمة: تكذيب عاد (١٢٣)

- ثم تفصيل:

١- دعوة هود لقومه (١٢٤- ١٣٥)

٢- تكذيب قومه له (١٣٦- ١٣٩)

٣- إهلاك عاد (١٣٩)

يبدأ السياق بمقدمة تحدد اتجاه القصة من البداية ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ ثم تفصل الأحداث قصة قوم مكذبين، مع حرص رسولهم على هدايتهم.

د- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال هود والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٠- ٥٢)

٢- تكذيب قومه له (٥٣- ٥٤)

٣- تحديه لهم (٥٤- ٥٧)

٤- نجاة المؤمنين، و إهلاك الكافرين (٥٨- ٦٠)

obeikandl.com

تحكي الأحداث، في تفصيل، ما كان من تحدي هود لقومه بعد أن أيس منهم، وما كان بعد ذلك من إهلاكهم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾.

هـ- في سورة الأحقاف (٦٦):

١- إنذار هود لقومه (٢١)

٢- تكذيب قومه واستعجالهم العذاب (٢٢- ٢٣)

٣- إهلاك عاد (٢٤- ٢٥)

تحكي الأحداث قصة قوم جاهلين؛ أنذروا فكذبوا، ورأوا العذاب فحسبوه غيثا؛ فهلكوا بجهلهم.

تعقيب

نلاحظ أن الوظائف الثلاث الثابتة في قصص نوح عليه السلام، تتكرر هاهنا كذلك، وهي هنا أيضا ثابتة في كل المتتاليات الوظيفية:

obeikandl.com

١- الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

وهناك وظائف أخرى متغيرة، يؤثر حضورها في تغيير المتن الحكائي؛ ليأتي كما رأينا في صور مختلفة: فمن حكاية صورة العذاب، إلى موقف القوم من الوحي، إلى قصة قوم مكذبين، إلى قصة تحدي هود لقومه، إلى قصة الجهل الذي يعمي الأبصار والبصائر.

قصص صالح عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب ثمود (٢٣- ٢٩)

٢- وقوع العذاب (٣٠- ٣١)

تحكي الأحداث ما وقع بثمود من عذاب جزاء تكذيبهم.

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

obeikandl.com

١- إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٧٣- ٧٤)

٢- تكذيب قومه له (٧٥- ٧٦)

٣- عقر الناقة وطلب العذاب (٧٧)

٤- إهلاك الكافرين (٧٨- ٧٩)

هذه قصة الدعوة إلى الله: نبي يدعو وقوم يكذبون، ويسخرون من المؤمنين، ويجحدون بآيات ربهم؛ فيهلكهم الله بذنوبهم، ويعجل لهم الهلاك دون تفصيل.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب ثمود (١٤١)

٢- دعوة صالح لهم (١٤٢- ١٥٢)

٣- تكذيبهم له، وطلبهم آية (١٥٣- ١٥٤)

٤- الناقة، والتحذير (١٥٥- ١٥٦)

٥- عقر الناقة، والندم (١٥٧)

obeikandl.com

٦- إهلاك ثمود (١٥٨)

تبدأ الأحداث بتقديم يحدد اتجاه القص ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة التكذيب المركوز في نفوس أصحابه، فهم يتحركون بتوجيه منه.

د- في سورة النمل (٤٨):

١- إرسال صالح إلى ثمود، وانقسامهم فريقين (٤٥)

٢- كفر الفريق الضال، وتشاؤمهم من المؤمنين (٤٦- ٤٧)

٣- عقد العزم على قتل صالح وأهله (٤٨- ٥٠)

٤- إهلاك الكافرين، ونجاة المؤمنين (٥١- ٥٣)

تحكي الأحداث قصة قوم مكروا بنبيهم، وبيتوا لقتله، فأهلكهم الله بما مكروا.

هـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال صالح، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦١)

obeikandl.com

٢- تكذيب قومه له، وإنكارهم لحاله (٦٢)

٣- عقر الناقة، وانتظار العذاب (٦٣- ٦٥)

٤- نجاة المؤمنين، وإهلاك الظالمين (٦٦- ٦٧)

وهذه قصة انحراف الفطرة، حين يصير الحق ضلالا وباطلا، والباطل حقا؛ إذ نجد في ردهم على نبيهم ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ أي قبل أن يدعوهم إلى الحق الذي سيكلفهم ترك اتباع الهوى.

تعقيب

هنا أيضا تتكرر الوظائف الثابتة في قصص نوح وهود عليهما السلام:

١ـ الإرسال و الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢ـ التكذيب.

٣ـ نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

obeikandl.com

وثم وظائف أخرى متغيرة تؤثر في متن الحكاية، وتؤدي إلى زيادة خصوصية القصة؛ فتأتي مرة قصة التكذيب والعذاب، ومرة قصة الدعوة إلى الله، ومرة ثالثة قصة التكذيب الذي يقود أصحابه إلى هلاكهم، ورابعة قصة المكر الذي يهلك أصحابه، وخامسة قصة انحراف الفطرة.

قصص لوط عليه السلام

ا- في سورة القمر (٣٧):

١- تكذيب قوم لوط (٣٣)

٢- إهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين (٣٤- ٣٥)

٣- إنذار لوط قومه، وتكذيبهم له (٣٦)

٤- مراودتهم لوطا عن ضيفه (٣٧)

٥- إهلاك قوم لوط (٣٧- ٣٩)

تعرض الأحداث قصة إهلاك قوم لوط؛ حيث أُنذروا فكذبوا فحق هلاكهم.

obeikandl.com

ب- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إنكار لوط فعل قومه (٨٠- ٨١)

٢- تماديهم في الغي والإجرام (٨٢)

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (٨٣- ٨٤)

تحكي الأحداث قصة الدعوة إلى الله، باتباع هديه، وترك اتباع الهوى والإغراق في الرذيلة. ومقابلة ذلك بالجحود والتكذيب. ومن ثم يكون الإهلاك جزاء وفاقا دون إمهال، ودون مقدمات تفصيلية.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب قوم لوط (١٦٠)

٢- دعوة لوط لهم (١٦١- ١٦٦)

٣- تهديدهم بإخراجه إن لم ينته (١٦٧)

٤- تصريحه بالبغض لعملهم، واستنصاره بربه (١٦٨- ١٦٩)

obeikandl.com

٥- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين (١٧٠- ١٧٤)

تحكي الأحداث قصة قوم مكذبين، صموا آذانهم عن دعوة نبيهم؛ فدمر الله عليهم.

د- في سورة هود (٥٢):

١- مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد، و إخبارهم له بأمر قوم لوط (٦٩- ٧٦)

٢- مجيء الرسل لوطا، وضيقه بهم؛ خوفا عليهم من قومه (٧٧)

٣- قدوم قومه يريدون ضيفه، ومحاولته منعهم (٧٨- ٨٠)

٤- كشف الرسل عن حقيقتهم، وطلبهم إليه بالرحيل (٨١)

٥- إهلاك الكافرين (٨٢- ٨٣)

تعرض الأحداث حيرة لوط عليه السلام، لمعرفته بانحراف قومه، حين أتته الملائكة في صورة بشر ضيفان، وهو ليس بقادر على حسن استضافتهم.

obeikandl.com

هـ- في سورة الحجر (٥٤):

١- مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد، وإخبارهم له بأمر قوم لوط (٥١- ٦٠)

٢- مجيء الرسل لوطا، وإخباره بأمرهم (٦١- ٦٦)

٣- قدوم قومه يريدون ضيفه، ومحاولته منعهم (٦٧- ٧١)

٤- إهلاك قوم لوط (٧٢- ٧٧)

تحكي الأحداث قصة تصديق النذير، أمام الشاكين المكذبين. وهذا ما جاء لأجله الملائكة إلى لوط الذي كان قد توعد قومه بالعذاب؛ فكذبوه؛ فصدقته الملائكة بوقوع العذاب.

و- في سورة العنكبوت (٨٥):

١- إنكار لوط فعل قومه (٢٨- ٢٩)

٢- استهزاء قومه، وطلبهم العذاب (٢٩)

٣- استنصار لوط بربه (٣٠)

obeikandl.com

٤- مجيء الملائكة إبراهيم بالبشرى، وإخباره بأمر القرية (٣١- ٣٢)

٥- مجيء الملائكة لوطا، وضيقه بهم؛ خوفا عليهم من قومه (٣٣)

٦- إهلاك القرية (٣٣- ٣٥)

تحكي الأحداث طبيعة الدعوة التي أرسل لها لوط، وما لقي من استهزاء قومه، ومن ثم تعرض نصر الله لنبيه حين استنصر به.

تعقيب

هاهنا نجد الوظائف الثلاث الثابتة في قصص كل من نوح، وهود، وصالح:

١- الدعوة إلى تقوى الله.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

opeikandi.com

تنضاف إليها الوظائف المتغيرة، لتغير الشكل الذي تأتي عليه القصة، وتمنحه خصوصيته فيكون مرة هو قصة إهلاك قوم لوط، ومرة قصة الدعوة إلى الله. وثالثة قصة قوم مكذبين، ورابعة قصة حيرة النبي، وخامسة قصة تصديق النذير، وسادسة قصة نصر الله لنبيه.

قصص شعيب عليه السلام

ا- في سورة الأعراف (٣٩):

١- إرسال شعيب إلى مدين، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٥- ٨٧)

٢- تكذيب قومه و استكبارهم (٨٨- ٩٠)

٣- استنصاره بربه (٨٩)

٤- إهلاك الكافرين (٩١- ٩٢)

٥- تحسر شعيب عليهم (٩٣)

تعرض الأحداث قصة الدعوة إلى الله، وموقف المدعوين منها.

obeikandl.com

ب- في سورة الشعراء (٤٧):

١- تكذيب أصحاب الأيكة (١٧٦)

٢- دعوة شعيب لهم (١٧٧- ١٨٤)

٣- تكذيبهم له، وطلبهم العذاب (١٨٥- ١٨٧)

٤- إهلاك المكذبين (١٨٨- ١٩٠)

تعرض الأحداث قصة قوم مكذبين، أهلكوا عقابا على تكذيبهم رسولهم.

جـ- في سورة هود (٥٢):

١- إرسال شعيب إلى مدين، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٤- ٨٦)

٢- تكذيب قومه له و استهزاؤهم به (٨٧- ٩١)

٣- تهديده لهم بعذاب الله (٩٢- ٩٣)

٤- نجاة المؤمنين، وإهلاك الظالمين (٩٤- ٩٥)

obeikandl.com

تعرض الأحداث قصة رسول جاهر قومه بالتهديد بالعذاب، بعد أن يئس منهم لتكذيبهم وكفرهم.

تعقيب

نحن هنا أمام الوظائف الثلاث الثابتة في قصص نوح، وهود، وصالح، ولوط:

١- الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- التكذيب.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

وثم وظائف أخرى متغيرة، تعطي متتالية الوظائف في كل مرة شكلا جديدا، يعطي مدلولا مختلفا في كل مرة، فمرة نجد قصة الدعوة وما يحف بها، ومرة قصة عاقبة المكذبين، ومرة قصة موقف الرسول من قومه المكذبين.

obeikandl.com

قصص موسى عليه السلام

أ- في سورة الأعراف (٣٩):

- مقدمة: الإرسال، والدعوة، والتكذيب (١٠٣)

- ثم تفصيل:

١- إرسال موسى إلى فرعون وقومه، مؤيِّدا بالمعجزات (١٠٤- ١٠٨)

٢- تكذيب فرعون وقومه (١٠٩- ١٢٧)

٣- نجاة بني إسرائيل، وإهلاك فرعون وقومه (١٣٠- ١٣٧)

٤- انحراف فطرة بني إسرائيل، وفساد طبيعتهم (١٣٨- ١٦٨)

هاهنا، وكما رأينا مع قصص سورة الأعراف: نوح، وهود، ولوط، وشعيب؛ نلتقي مع الوظائف الثلاث الثابتة: الدعوة، والتكذيب، ثم النجاة والإهلاك؛ غير أن الوظيفة الأخيرة هاهنا لا تعني خاتمة

obeikandl.com

القصة، كما مر بنا في القصص السابقة، وإنما هي بداية لجانب آخر من القصة، يتكفل بإظهار فساد طبيعة بني إسرائيل، وانحراف فطرتهم، وهم الفريق الناجي المفترض فيه الإيمان، لكن طبيعتهم الخبيثة تمنعهم أن يثبتوا على العقيدة الصحيحة؛ فنراهم ينحرفون مرة بعد مرة، وما يزال الرسول بين ظهرانيهم.

ب- في سورة طه (٤٥):

١- اختيار موسى للرسالة (٩- ٣٦)

٢- تذكير موسى بنعم الله عليه (٣٧- ٤١)

٣- إرسال موسى إلى فرعون (٤٢- ٥٥)

٤- استكبار فرعون و تكذيبه (٥٦- ٧٦)

٥- إهلاك فرعون وقومه (٧٧- ٧٩)

٦- إنجاء بني إسرائيل، وضلالهم (٨٠- ٩٨)

تحكي الأحداث قصة الرسالة، ومصاحباتها من دعوة، وتكذيب، وإهلاك وإنجاء. حيث تبدأ القصة بحدث اختيار الرسول، بداية من

obeikandl.com

تعريف الله له بذاته، وأنه اختاره لرسالته، وأيده بالمعجزات الخارقة؛ تمهيدا لإرساله إلى فرعون، ويذكره الله بأنه، من قبل، قد منَّ عليه بنعمه، منذ ميلاده حتى إرساله. ليُصنع على عينه؛ حتى إذا ذهب إلى فرعون ذهب مطمئنا إلى معية ربه ورعايته له اطمئنانا مطلقا. وليذهب إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشى؛ لكنه كذب وأبى؛ فكانت خاتمة قصة فرعون وقومه متمثلة في إهلاكهم، وكان هذا الإهلاك بداية لحياة بني إسرائيل الكريمة، التي رفضوها بجهلهم واتّبعوا أهواءهم؛ فعبدوا عجل السامري، حتى عاد موسى من ميعاد ربه فحرّقه، ونسفه في اليم نسفا.

جـ- في سورة الشعراء (٤٧):

١- الإرسال (١٠- ٢٤)

٢- التكذيب (٢٥- ٥٦)

٣- إهلاك فرعون وقومه، وتكريم بني إسرائيل (٥٧- ٦٧)

هاهنا نقابل الوظائف الثلاث الثابتة، حيث نبدأ مع إرسال موسى إلى قوم فرعون الظالمين، ودعوته لهم؛ لكنهم يكذبونه مستكبرين معرضين عن دعوته؛ بعد أن يجادل فرعونُ موسى في تربيته إياه، وفي

قتله القبطي، ثم في الله رب العالمين، محذرا إياه أن يتخذ إلها غيره؛ ويجمع له السحرة ليغلبوه؛ فتكون الغلبة لموسى عليهم، ومن ثم يؤمنون بالله رب العالمين؛ ويغضب فرعون ويرسل في المدائن حاشرين محذرين؛ وتكون عاقبتهم الإهلاك وتوريث بني إسرائيل جناتهم، وكنوزهم، ومنازلهم.

د- في سورة القصص (٤٩):

- مقدمة: (٣- ٦)

١- طفولة موسى (٧- ١٣)

٢- الخروج إلى مدين (١٤- ٢٨)

٣- الرسالة، والعودة إلى مصر (٢٩- ٣٥)

٤- مجيء موسى، ودعوته آل فرعون (٣٦- ٣٧)

٥- تكذيب فرعون واستكباره (٣٨- ٣٩)

٦- إهلاك الظالمين: فرعون وجنوده (٤٠- ٤٢)

obeikandl.com

تبدأ القصة بمقدمة عن استكبار فرعون، وإفساده، وإرادة الله التمكين لبني إسرائيل؛ ومن ثم يأخذ السرد في تفصيل ذلك؛ فيبدأ منذ طفولة موسى التي جاءت مع إذلال بني إسرائيل واضطهادهم، فتلقيه أمه في اليم خوفا عليه، ويلتقطه آل فرعون، ليعود إلى أمه بعد أن يرفض المراضع اللائي عرضن عليه. ومن ثم ينتقل السياق إلى شبابه وقتله للقبطي، ورحيله إلى مدين، ليلتقي بالمرأتين، ويتزوج إحداهما، ويعود إلى مصر بزوجه بعد أن قضى الأجل؛ لتبدأ في طريق العودة رحلة الرسالة، فيكلفه الله بدعوة آل فرعون؛ ويكذبه فرعون وجنوده؛ فتكون العاقبة الوبيلة على المكذبين ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾.

التعقيب

ما زالت الوظائف الثلاث الثابتة في قصص الأنبياء السابقين (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب): الدعوة. التكذيب. الإهلاك والإنجاء- تؤكد ارتباطها بالرسالات، فتأتي هاهنا في قصص موسى عليه السلام، تنضاف إليها وظائف أخرى لتغير من تأثيرها في نفوس المتلقين، تبعا لتغير السياق الذي ترد فيه القصة.

قصة موسى والعبد الصالح

- في سورة الكهف:

١- الرحلة إلى مجمع البحرين (٦٠)

٢- نسيان الحوت (العلامة) (٦١- ٦٤)

٣- لقاء العبد الصالح، واتباعه على شرطه (٦٥- ٧٠)

٤- الإخلال بالشرط ثلاث مرات (٧١- ٧٧)

٥- الفراق، وتأويل الأحداث العجيبة (٧٨- ٨٢)

ترد قصة موسى والعبد الصالح مرة واحدة، في سياق واحد؛ فيبدو فيها التماسك الوظيفي الذي تتمتع به مثيلاتها من القصص المذكور مرة واحدة، كما سنرى في قصة يوسف عليه السلام.

تبدأ القصة بالرحلة إلى مكان غير معلوم، و لقاء رجل مجهول يقوم بأفعال غير مبَرُرة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لمن رفض إطعامه؛ أفعال ربما تحمل الشر والغرابة في ظاهرها، لكن تأويلها الذي يأتي مع الفراق يحمل معنى آخر؛ معنى الرحمة: فخرق السفينة

obeikandl.com

كان رحمة بأصحابها، وقتل الغلام كان رحمة بأبويه، وإقامة الجدار كان رحمة بغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحا؛ ومن ثم يكون وقع الفراق أليما، وتأثيره مذهلا لموسى، فلا نسمع له تعليقا، وإنما ينتقل السياق إلى قصة أخرى.

قصة يوسف عليه السلام

١- رؤيا يوسف (٤- ٦)

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨)

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢١)

٤- محنة المراودة (٢٢- ٣٤)

٥- يوسف في السجن " رؤيا السجينين ورؤيا الملك " (٣٥- ٤٩)

٦- براءة يوسف والتمكين له (٥٠- ٥٧)

٧- قدوم إخوته عليه، واجتماعه بأخيه (٥٨- ٨٣)

obeikandl.com

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١)

ترد هذه القصة في سياق واحد، وتكتمل في بنية وظيفية واحدة متماسكة؛ فالحكاية تبدأ برؤيا يوسف، التي تكشف عن حسد إخوته. ذلك الحسد الذي كان سببا في وصوله إلى بيت عزيز مصر، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه، مما تسبب في دخوله السجن، الذي كان سببا في التمكين له، حيث وصل إلى الملك عن طريق ساقيه، وتسبب التمكين له في اجتماعه بإخوته، ومن ثم في تحقيق الرؤيا... هكذا تترابط الوظائف في القصة ترابط السبب والنتيجة؛ حيث تتنامى الوظائف، وتتناسل اللاحقة من السابقة حتى تكتمل القصة.

قصص سليمان عليه السلام

ا- في سورة ص (٣٨)

١- سليمان والصافنات الجياد (٣٠- ٣٣)

٢- فتنة سليمان (٣٤)

٣- استغفاره، وسؤاله ملكا لا ينبغي لأحد بعده (٣٥)

obeikandl.com

٤- ملك سليمان (٣٦- ٤٠)

تحكي الأحداث قصة عبد أواب ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ آتاه الله الملك جزاء أوابيته.

ب- في سورة النمل (٤٨)

١- ملك سليمان (١٥- ١٩)

٢- مجيء الهدهد بخبر سبأ (٢٠- ٢٦)

٣- كتاب سليمان إليهم (٢٧- ٣٤)

٤- هدية الملكة إلى سليمان (٣٥)

٥- رفض الهدية، و تهديدهم بالحرب (٣٦- ٣٧)

٦- انتقال عرش الملكة عند سليمان (٣٨- ٤٠)

٧- تنكير العرش وتعرفها عليه.. (٤١- ٤٣)

٨- إسلام ملكة سبأ (٤٤)

obeikandl.com

تحكي الأحداث عن ملك سليمان، وعما آتاه الله من علم بمنطق الطير؛ فالهدهد سيخبره بخبر سبأ، والمرأة التي تحكمهم، تمهيدا لدعوتهم إلى الإسلام. وعندما يريد عرش الملكة يأتيه به الذي عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه، ثم إنه لا يقبل هدية الملكة التي كانت بغرض اختباره، ويخبرنا السياق أن عدم قبوله الهدية كان سببا في مجيء الملكة إليه، ومن ثم إسلامها معه لله رب العالمين؛ وكأنه لو قبلها لكان للأحداث التالية شأن آخر.

جـ- في سورة سبأ (٥٨)

١- ملك سليمان (١٢)

٢- تسخير الجن له (١٢- ١٣)

٣- موته، وإدراك الجن لذلك (١٤)

تعرض الأحداث فضل الله على الشاكرين، وعلم الجن المحدود بحدود الظاهر، أما الغيب فهو من علم الله وحده لا يشركه فيه أحد.

obeikandl.com

تعقيب

ما زال يتأكد لنا مرة بعد مرة، دور السياق في تحديد الوظائف المختارة من تاريخ الشخصيات. وصولا إلى هدف تسعى القصة إلى تحقيقه. ففي سورة ص نبدأ مع قوله تعالى ﴿ ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ (١) ﴾ ويستمر السياق مع الذكر والتذكير، فالقرآن نزل ذكرا وتذكيرا لمحمد ﷺ، ولقومه ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) ﴾ فسليمان العبد الأواب الذي آتاه الله الملك جزاء أوابيته، لم يكن شيء أحب إليه من ذكر الله، ونرى كيف تتوافق الوظائف المذكورة له هاهنا مع السياق العام للسورة، بدءا من انشغاله بالصافنات عن ذكر ربه، وإسراعه بالتوبة إلى الله وسؤاله ملكا واسعا منحه الله إياه. وفي سورة النمل يخبر الله رسوله محمدا ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾ وهذا الحكيم العليم هو الذي آتى داود وسليمان العلم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...[الآية] (١٥) ﴾ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ وهو الذي أعطى محمدا القرآن آية بينة. والله تعالى وحده عالم الغيب، والجن الذين عملوا لسليمان كل ما عملوا، لا طاقة لهم على معرفة شيء منه ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) ﴾ [سورة سبأ].

قصة أصحاب الكهف

أ- إجمال:

الإيواء إلى الكهف، النوم، البعث (٩- ١٢)

ب- تفصيل:

١- الإيواء إلى الكهف (١٣- ١٨)

٢- بعثهم، والعثور عليهم (١٩- ٢١)

٣- الاختلاف في عددهم، وفي مدة لبثهم في الكهف (٢٢- ٢٦)

تبدأ الحكاية بعرض موجز، يُجمل أحداث الإيواء إلى الكهف، والنوم، والبعث. ثم يُفصل الحديث بعد ذلك عن هؤلاء الفتية المؤمنين الذين فروا بدينهم إلى الله؛ فآواهم ونصرهم وجعلهم للناس آية.

obeikandl.com

قصة قارون

- في سورة القصص:

١- قارون وبغيه على قومه (٧٦)

٢- نصح قومه له (٧٦- ٧٧)

٣- اغتراره بما عنده، واستكباره أن يقبل النصح (٧٨)

٤- افتتان الضعفاء به (٧٩)

٥- نصح المؤمنين لهم (٨٠)

٦- انخساف الأرض بقارون وداره (٨١)

٥- انتباه الضعفاء من غفلتهم (٨٢)

إنها قصة قارون وبغيه على قومه، واستكباره أن يقبل نصح الناصحين منهم؛ فكان أن خسف الله به وبداره الأرض. ولنر كيف

obeikandl.com

تتناسل الوظائف، اللاحقة من السابقة: فقد انتبه الضعفاء من غفلتهم؛ لأنهم رأوا ما حاق بقارون من خسف له ولداره؛ وقد حدث هذا الخسف نتيجة لكبْره وبغيه.

قصة أصحاب الجنة

- في سورة القلم:

١- عزمهم على الانفراد بثمرها دون المساكين (١٧- ١٨)

٢- إهلاك الجنة أثناء نومهم (١٩- ٢٠)

٣- الاجتماع، والذهاب لجمع ثمار الجنة (٢١- ٢٥)

٤- التلاوم والرجوع إلى الله (٢٦- ٣٢)

إنها قصة نفر عادوا إلى ربهم نادمين؛ لأن ربهم عجل لهم العذاب؛ حين عقدوا العزم على الانفراد بما آتاهم من نعيم.

obeikandl.com

قصة ابني آدم

- في سورة المائدة:

١- القربان (٢٧)

٢- التهديد (٢٧- ٢٩)

٣- القتل (٣٠)

٤- مجيء الغراب (٣١)

٥- الندم (٣١)

ما تزال ميزة القصص المفرد التي تتجلى في تماسك وظائفه تظهر في قصة ابني آدم: فالقاتل من ابني آدم ندم؛ لأنه عجز أن يكون مثل الغراب؛ إذ لم يوار سوءة أخيه حيث قتله؛ وقتله، لأن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه؛ والله لم يتقبل قربانه، لأن الله إنما يتقبل من المتقين. فابن آدم (القاتل) لم يكن من المتقين؛ فلم يتقبل الله قربانه؛ فتوعد أخاه الذي تُقُبِّل منه؛ وقتله؛ ولم يدر ما يفعل به، حتى رأى

obeikandi.com

غرابا يبحث في الأرض؛ ليعلّمه كيف يوارى سوءة أخيه؛ فندم إذ اكتشف عجزه عن أن يكون مثل هذا الغراب.

قصة صاحب الجنتين

- في سورة الكهف:

١- رجلان أوتي أحدهما زينة الحياة الدنيا (٣٢- ٣٤)

٢- مفاخرته لصاحبه، ونصح صاحبه له (٣٤- ٤١)

٣- ضياع الجتنين، والندم (٤٢- ٤٣)

إنها قصة غافل ضاعت جنتاه؛ حيث لم يؤد شكرهما لله المانح، وتكبَّر وتاه بما عنده. لقد ندم؛ لأن الجنتين قد ضاعتا؛ وهما قد ضاعتا لأنه لم يؤد شكرهما؛ وهو لم يؤد شكرهما لأنه ظلم نفسه بجحود نعمة ربه.

obeikandl.com

قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام

ا- في سورة مريم (٤٤):

١- زكريا يُرزق بيحيى (٢- ١٥)

٢- قضاء الله بكون عيسى من مريم بغير أب (١٦- ٢١)

٣- ميلاد المسيح (٢٢- ٢٦)

٤- عودة مريم إلى أهلها، وكلام عيسى في المهد (٢٧- ٣٣)

هاهنا قصة ميلاد عيسى، ومعجزة طفولته.

ب- في سورة الأنبياء (٧٣):

١- زكريا يُرزق بيحيى (٨٩- ٩٠)

٢- مريم وابنها آية للعالمين (٩١)

obeikandl.com

وهاهنا قصة فضل الله على عيسى ووالدته.

جـ- في سورة آل عمران (٨٩):

١- ميلاد مريم (٣٥- ٣٧)

٢- مريم في كفالة زكريا (٣٧- ٤١)

٣- اصطفاء الله لمريم (٤٢- ٤٣)

٤- تبشيرها بعيسى (٤٥- ٤٨)

٥- رسالة عيسى (٤٩- ٥١)

٦- كفر بني إسرائيل ومكرهم (٥٢- ٥٤)

٧- رد مكر الكافرين (٥٥- ٥٧)

تبدأ الأحداث من قبل ميلاد مريم المنذورة لله، التي تولد ويكفلها زكريا، فيرى من كراماتها ما يجعله يدعو ربه أن يهبه ذرية طيبة؛ فيستجيب الله له ويهبه يحيى مع كبَره وعقر امرأته، وبعد ذلك يهب مريم ولدا بقدرته، تلك القدرة التي وهبت زكريا من قبل الولد- ومن ثم

obeikandi.com

يعده للرسالة ويرسله إلى بني إسرائيل مؤيَّدا بالمعجزات؛ فيكفرون به مع ذلك، ويمكرون به، فينجيه الله من مكرهم.

د- في سورة المائدة (١١٢)

١- تذكير الله لعيسى ابن مريم بنعمته عليه وعلى والدته (١١٠)

٢- إيمان الحواريين، وطلبهم المائدة (١١١- ١١٤)

٣- إنزال المائدة، وتوعد الكافرين (١١٥)

٤- حوار- بين الله وعيسى- حول وحدانية الله (١١٦- ١١٨)

تدور الأحداث حول قضية التوحيد: فالله تعالى قد أنعم على عيسى وعلى والدته، وجمع حوله قلوب الحواريين، فهو ربه الخالق المتصرف، ثم يؤكد للمكذبين كذبهم؛ إذ لم يقل عيسى للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، بل دعاهم إلى عبادة الله ربه وربهم.

تعقيب

تقترن قصة عيسى دائما بقصة زكريا عليهما السلام. التي تأتي تمهيدا لهذا الحدث الخارق (ميلاد بغير أب!) وفي المائدة ليست القصة في حاجة إلى هذا التمهيد (بقصة زكريا) لأننا في القيامة و في الحساب، حيث لا دعوة، ولا إيمان، ولا كفران، وإنما جزاء على ما كان.

خصائص المتن القصصي في القرآن الكريم

رأينا، فيما مر علينا من قصص قرآني، أن ثمة قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف، كما رأينا في قصص: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى... وفيها جميعا، نجد نواة وظيفية تتكرر، فيما عدا قصص آدم الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة؛ نقرأ في ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك: يأتي الهدى من الله؛ فيتبعه الناجون، ويكذب به الهالكون. ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبنى عليها جميع القصص التالي:

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- الرفض والاستكبار.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة: تظل الدعوة، ويظل التكذيب، وتظل العاقبة... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان، ووعيده القديم.

غير أن الهدف الذي تأتي من أجله القصة- من قصص النبي الواحد- يجعلها تختلف، في كل مرة، في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب

opeikanal.com

أخرى، مما يؤثر في متتالية الوظائف، فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل.

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه، تماسكا منطقيا، زمنيا في الوقت ذاته، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطي تسلسلي، غالبا، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق.

obeikandl.com

الهوامش:

1) V. Propp, Morphologie du conte, Traduction française, Ed.du Seuil, coll.Points, 1970, p. 31
2) Ibid. p: 29

obeikandl.com